القرآن أمانة في أيدي المسلمين

مما سبق تبين أهمية إرسال الرسل إلى أهل الأرض، فهذه الرسالات هي التي تربط أهل الأرض بخالقهم، وقد خُتمت برسالة نبينا ﷺ، وهي القرآن الكريم، الذي تعهّد الله بحفظه إلى يوم الدين.

وقد أخذ الله الميثاق على الأمم السابقة أن يعملوا بما أُنزل إليهم من كتب ويُؤمنوا بمن يأتي من بعدهم من رسل، واستحفظوا عليها، أي أُمروا أن يحفظوها، وأن يبلّغوها للناس ولا يكتموها، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ولكنهم لم يحفظوا هذه الأمانة وضيّعوها، ونقضوا المواثيق، وحرّفوا الكتب، وأخفوا بعضها حسب أهوائهم،

وكفروا بمحمد ﷺ، وما جاء به، فلعنهم الله، وجعل قلوبهم قاسية، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وكذّبوا النّبيّ ﷺ رغم علمهم بصفته التي جاءت في كتبهم التوراة والإنجيل، وقالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) ﴾ [الأنعام: ٩١].

فكانوا يخفون صفة النبيّ ﷺ التي جاءت في كتبهم؛ لئلاّ يؤمن به أتباعهم، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ﴾ [البقرة: ١٤٦].

وأخذ الله الميثاق على النبيين وأتباعهم أن يؤمنوا

بالرسول ﷺ إذا جاءهم، وأن ينصروه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [آل عمران: ٨١].

ورغم كل ذلك كفروا بالرسول وكذبوه وكفروا بما جاء به إلاّ قليل من أحبارهم أمثال عبد الله بن سلام الذي كان يعرف صفة الرسول من الكتب، قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وقد كانت بعثة النبيّ ﷺ لأهل الكتاب؛ ليُبيّن لهم ما كانوا يخفون من الأحكام ويُيسّر لهم الدين ويكون حجة عليهم يوم القيامة، فلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ

وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾ [المائدة: ١٩].

ولما كان هذا هو حال الأمم السابقة جاءت رسالة نبيّنا ﷺ الخاتمة وتعهد ربنا عز وجل بحفظها من التحريف أو التبديل إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

وكانت رسالة النّبيّ ﷺ للناس كافة، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، كذلك كانت رسالته ﷺ للجن أيضًا، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، أي للإنس والجن، فكان منهم المؤمن ومنهم الفاسق، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ

أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

وكانت رسالته ﷺ وهي القرآن الكريم مصداقًا لما جاء في التوراة والإنجيل والكتب السابقة ومهيمنًا عليها، أي شاهدًا عليها؛ لأن فيه إخبارهم، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨].

لقد توفي ﷺ وانتهى زمن إرسال الرسل إلى أهل الأرض، فهل انقطعت صلة أهل الأرض بالله؟، لا؛ إن الرسالة التي تربط أهل الأرض بالله باقية إلى يوم الدين، وهو القرآن العظيم الذي حفظه الله من التبديل والتحريف، فهو حبل الله المتين والنور المبين، وهو أمانة في أيدي المسلمين عامة، والعلماء خاصة؛ لأنهم ورثة الأنبياء ليعملوا به وينشروه بينهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تبليغها إلى غير المسلمين وما أعظمها وأثقلها من أمانة أبت السماوات والأرض أن تحملها وحملها الإنسان، قال تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وحمّلنا الله عز وجل ورسوله الكريم هذه الأمانة، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال ﷺ: «بلّغوا عنّي ولو آية». وقال ﷺ في خطبة الوداع: «فليبلّغ الشاهد الغائب».

وكان الصحابة ﷺ ما يقرب من سبعين ألفًا حملوا هذه الأمانة وانتشروا في أرجاء المعمورة؛ ليبلّغوا الناس بأفعالهم قبل أقوالهم، فدخل الناس في دين الله أفواجًا حتى وصل الإسلام إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها.

فهل فعل المسلمون اليوم مثل ذلك أم ضيّعوا هذه الأمانة، كما فعل من قبلهم من الأمم السابقة، فيلعنهم الله كما لعنهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

ولُعن الذين كفروا من بني إسرائيل بتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

فما أكثر حفظة القرآن في كل زمان، ولكن ما أقل العاملين به، والذين يُعلّمون الناس ولا يكتمونه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لقد شبّه الله اليهودَ الذين يحملون التوراة ولا يعملون بها بالحمار يحمل فوق ظهره كُتبًا لا يدري ما بها، ولا ينتفع بها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: ٥]، فهل هناك مثل أحقر من هذا.

لذا قال ﷺ عن رب العزة سبحانه: «لا يحقرن أحدكم نفسه» قالوا: يا رسول الله، كيف يحقرن أحدنا نفسه؟ قال: «يرى مقالة لله ولا يتكلم (أي أمر بمعروف ونهى عن

منكر) فيأتي يوم القيامة يسأله ربه ما منعك أن تقول في كذا وكذا؟ (يعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فيقول: يا ربي مخافة الناس. يقول ربنا عز وجل: إياي أحق أن تخاف، ثم يُؤخذ إلى النار» [مسند أحمد]

إن كل عالم رأى مخطئًا جاهلاً، ولم يعلمه ولم يأمره وينهاه سيسأل عنه يوم القيامة، وكل كافر لم تصل إليه دعوة الإسلام سيُسأل المسلمون عنه، وقد سمعت حكاية عن جندي أمريكي أسلم في العراق بعدما عرف حقيقة الإسلام، وبعد إسلامه بكى بكاءًا شديداً، ولما سُئل عن ذلك قال إنه يبكي أبويه الذين ماتا على الكفر، ثم أخذ يدعو على المسلمين؛ لأنهم قصّروا في الدعوة إلى الله، فلم تصل إلى أبويه قبل موتهما.

الصعوبات التي واجهها الرسل عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام

لم تكن الدعوة إلى الله بالأمر السهل على الرسل جميعًا، بداية من نوح عليه السلام، حتى نبيّنا ﷺ، وكم لاقى الأنبياء جميعًا من عنت وظلم من قومهم؛ وذلك لتفاوت الناس في تقبل الهداية كما سبق أن بيّنا؛ وللأسباب السابق ذكرها، ومن أمثلة ما لاقاه الرسل:

١- التكذيب:

فما من رسول جاء يدعو إلى الله إلاّ كذبه قومه حتى ولو لم يجربوا عليه كذبًا قبل ذلك، قال تعالى: ﴿ **وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾** ﴾ [الحج: ٤٢ – ٤٤].

فالبرغم من أن النّبيّ ﷺ كان يسميه قومه بالصادق الأمين إلاّ أنهم كذّبوه عندما جاءهم بالدعوة إلى الله.

٢ - اتهامهم بالسحر والجنون والسفاهة والشعر:

قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٦]، وقال تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٦].

٣ - الكفر نتيجة لاتباع الآباء والترف:

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

٤ - الكفر نتيجة الغرور بالمال والولد:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سبأ: ٣٤ - ٣٦].

فأكثر الناس لا يعلمون أن المال والولد يكون للكافر

إملاءً واستدراجًا؛ ليزدادوا إثمًا على إثمهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨]. وقال ﷺ: «إذا رأيت العبد يعطيه الله من نعيم الدنيا وهو مصرّ على المعصية، فاعلم أنه إملاء».

٥ - الاستهزاء:

قال تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس: ٣٠].

٦ - تعذيبهم وقتلهم:

كما فعل بني إسرائيل مع أنبيائهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: ٧٠]، وكذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما ألقاه قومه في

النار ونجاه الله، قال تعالى: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) ﴾ [الأنبياء: ٦٨].

٧ - قتالهم واخراجهم من ديارهم:

كما فعل مشركوا مكة مع رسولنا الكريم ﷺ وغيره من الرسل، قال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً (٧٦) سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً (٧٧) ﴾ [الإسراء: ٧٦، ٧٧]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) ﴾ [إبراهيم: ١٣].

٨ - التعالي والكبر كما فعل فرعون مع موسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) ﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢].

٩ - حسداً منهم لتفضيل الرسل عليهم:

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا

نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القمر: ٢٣ - ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٤].

١٠ - التكذيب بالبعث والنشور:

قال تعالى: ﴿ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الواقعة: ٤٥].

فهل استسلم الرسل وفرّوا من ميدان الجهاد؟

أبداً، صبروا وثبتوا على الحق رغم كل هذه المعاناة حتى آتاهم نصر الله وأهلك الكافرين، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ثم يكون عاقبة الصبر أن ينصر الله رسله والذين آمنوا معهم، وإذا نزل العذاب ينجيهم الله.

وقال تعالى في حق نوح عليه السلام: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٤].

وقد قصّ علينا ربنا عز وجل في القرآن الكريم قصص الأنبياء وما لاقوه من شدائد ومحن، لتكون مثلاً يُحتذى به لمن أراد أن يسير على دربهم، وليثبت الرسول الكريم على الحق.

قال تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [هود: ١٢٠].

فيا أيها المؤمنين سارعوا إلى نصرة دينكم ولا تخشوا في

الله لومة لائم، كلٌّ على قدر استطاعته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعلموا أنّ وعد الله حق وأنه ناصر من ينصره، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].

وليكن لنا في الرسول ﷺ أسوة حسنة، فلولا جهاده وصبره لما كانت وصلتنا الرسالة وما كنّا مسلمين.

مهمة الرسل كانت بلاغ وليست هداية

مما سبق تبين أن مهمة الرسل عليهم السلام هي بلاغ وإرشاد الناس بما أُرسل إليهم، وأما الهداية فهي مشيئة الله عز وجل يهدي من يشاء، ويُضلُّ من يشاء، فهو أعلم بما في نفوسهم وبأعمالهم.

قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ [الشورى: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾ [القصص: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ (١٠٠) ﴾ [يونس: ٩٩، ١٠٠].

فالعاقل يستجيب ويزيده الله هدىً، وأما الذين لا يعقلون وطُبع على قلوبهم من كثرة معاصيهم يزيدهم الله كفراً على كفرهم، لا يستجيبون إلى الدعوة مهما دعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة؛ لأن في آذانهم وقراً ويظنون أنهم على حق، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) ﴾

[الكهف: ٥٧].

ومن رحمة الله تعالى أن يمهلهم في الدنيا علّهم يرجعون ويتوبوا، فإن ماتوا على الكفر كان عذابهم في الآخرة شديد، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨) ﴾ [الكهف: ٥٨].

وهؤلاء هم الأخسرين أعمالاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) ﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

والرسول لا يسأل الناس أجراً على هدايتهم إنما هم الذين سينتفعون بهذه الهداية في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [هود: ٥١]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [الزمر: ٤١].

لهذا كله يجب على الرسول ﷺ ومن سار على دربه في الدعوة إلى الله ألاّ يحزن ويصبر ويحتسب ويطلب الأجر من الله إذا صادف أمثال هؤلاء ويُشهد الله عز وجل أنه بلّغ الرسالة، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر: ٨].

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هناك فرق بين حرية العقيدة والاستهزاء بها؛ فحريّة العقيدة هي أن يختارها الإنسان دون إكراه من أحد، ومن الثوابت في الإسلام أنه لا إكراه في الدين، قال تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فطالما اختار الإنسان العقيدة دون إكراه فلابد من احترام قوانينها ودستورها وإلاّ كان مستهزءاً بها، ويكون أشد خطراً على الإسلام من الكافر، فمثلاً إذا أراد الإنسان أن يعيش في بلد ما اختارها بنفسه ولجأ إليها لعلمه بعدل حكامها فلابد له من احترام قوانينها والإلتزام بها، وإلاّ أصبح المجتمع فوضى، فلا يلجأ أحد بعد ذلك إلى هذه البلد.

وكذلك المسلم إذا لم يلتزم بتعاليم الدين، وكلها عدل كان مثلاً سيّئاً للدين، فكيف يدخل غير المسلم في دين تسوده الفوضى والظلم وسوء الخلق، أما الكافر فتصرفاته

مردودة عليه وعلى دينه، ولا تضر الإسلام في شيء؛ فالقرآن الكريم هو دستور المسلمين وقانون إلهي لابد من الالتزام به والعمل بقوانينه وشرعه، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

فأي خارج على هذا القانون الإلهي لابد له من عقاب رادع حتى يكون عبرة لغيره؛ لذا شرع الله الحدود ولا شفاعة فيها كما علمنا رسولنا الكريم؛ لأنها تجعل المجتمع يسوده الأمن فيكون كل فرد آمن على نفسه وماله وعرضه، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

فإذا كان القانون المدني لابد من احترامه، ودليل على قوة الدولة، والخارج على هذا القانون لابد من عقابه عن طريق الشرطة والمحاكم، إذن فقانون الله أحق وأجدر بالاحترام والتعظيم، ولابد من فئة تقوم على حمايته وتعبده؛ لئلا يكون الدين فوضى؛ لذا كان للحاكم سلطة إقامة الحدود.

ولولي الأمر تأديب أهله وتعليمهم أمور دينهم وعقابهم إذا خرجوا عن شرع الله بالنصح، فإن لم يجدي النصح فالبضرب غير المبرح، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦].

وأما سائر المسلمين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فهذا أمر من الله بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني جماعة من المسلمين تتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعل الله الفلاحَ لهذه الفئة حتى يُسارع الجميع ليكونوا منهم، فإذا قام بهذه المهمة بعض أفراد المجتمع سقط عن الباقين.

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وفي هذه الآية الكريمة علّمنا ربنا عز وجل أن المؤمنون والمؤمنات كلهم أسرة واحدة وأخوة في الدين كل واحد مسئول عن أخيه المؤمن كما هو مسئول تمامًا عن أهله وذويه، يرشده إلى صلاح حاله في الدنيا والآخرة حبًا له كحبه لأهله.

فإذا فعل المجتمع الإسلامي ذلك رحمهم الله وشملهم بعنايته وتوفيقه.

وهكذا نجد أن المجتمع كله لابد أن يقوم على حماية دستور الله، وقانونه وتنفيذ أوامره، والكل مسئول أمام الله، قال ﷺ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته**».

حتى الجن كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويُبلّغون ما عرفوا من الحق؛ لأنهم مكلّفون كالإنس تمامًا، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا**

حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣٠].

فقد شهدوا بأن القرآن يهدي إلى الحق فآمن بعضهم وكفر البعض، فكان منهم المسلمون ومنهم القاسطون، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الجن: ١٣ – ١٥].

التحذير من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى الاختلاف والفرقة وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه، بل يؤدي إلى أن ينسى المسلمون تعاليم دينهم، فيكون عذابهم عظيم، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾

[آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ واتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنساهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾

[الحشر: ١٨، ١٩].

كما أن العمل ببعض الأوامر وترك بعضها حسب الأهواء يؤدي إلى غضب الله عز وجل فيكون الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) ﴾ [البقرة: ٨٥].

وكل الناس في خسران إلاَّ من آمن بالله وأتْبَع هذا الإيمان بعملٍ صالح، ثم أمر بالمعروف ونهى عن المنكر. قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وتواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [العصر].

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى هلاك الأمة بما فيها الصالحون.

سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النّبيَّ ﷺ، فقالت: أنهلك القرية يا رسول الله وفيها الصالحون؟. قال: «**نعم يا عائشة، إذا كثر الخبث**» أي إذا عمّ الفساد. وفي حديث آخر: «**بتهاونهم وسكوتهم على المعاصي**».

وقال ﷺ عن رب العزة جلّ وعلا: «**إن الله أمر جبريل أن يُهلك قرية، قال جبريل: يا رب، إن فيها فلان صالح. قال رب العزة: يا جبريل، فبه فابدأ؛ لأنه لم يتمعر وجهه غضبًا لي**». فلم ينفعه صلاحه؛ لأنه لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وقال ﷺ: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشك أن يعمكم الله بعذاب من عنده ولتدعونه فلا يستجيب لكم**».

فالمسلمون ليلاً نهاراً يدعون الله عز وجل أن ينصرهم على أعدائهم، ولكن الله لا يستجيب لهم؛ لأنهم تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما تتنزل اللعنات على من ترك الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، كما نزلت على بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وهذه اللعنة نزلت عليهم لا بسبب تركهم هذا العمل بالكلية، ولكن كانوا يأمرون بالمعروف ثم يجالسوا من أصر على المنكر، فيصبح الأمر ليس له قيمة.

وتوضيح ذلك في حديث الرسول الكريم ﷺ قال: «**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فواكلوهم وشاربوهم، وجالسوهم في مجالسهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داوود وعيسى ابن مريم**».

وكان ﷺ متكئًا، فجلس؛ لعظم الأمر، وقال: «**لا والذي نفسي بيده، حتى تأطروهم على الحق أطرًا**» [أخرجه أحمد، والترمذي)، أي لا تجالسوهم إن أصروا على المعاصي وإلا نزلت اللعنة على الجميع، فما بالك بالذين

تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالكلية، وجالسوا، بل وأحبوا المفسدين في الأرض، لقرابتهم لهم أو لصالحهم وعظموا الفسقة، قال ﷺ: «**من عظم فاسق فقد كفر بما أُنزل على محمد**».

وقال ﷺ عن رب العزة: «**لا يحقرن أحدكم نفسه**» قالوا: يا رسول الله، كيف يحقرن أحدنا نفسه؟ قال: «**يرى مقالة لله، ولا يتكلم** (يعني أمر بمعروف ونهي عن المنكر) **فيأتي يوم القيامة يساله ربه: ما منعك أن تقول في كذا وكذا** (يعني الأمر بالمعروف) **يقول: يا ربي، مخافة الناس. يقول رب العزة: إياي أحق أن تخاف. ثم يُؤخذ إلى النار**» [مسند أحمد ص٣٠]، فلم ينفعه صلاحه؛ لأنه لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

ثواب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر:

ولصعوبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما سبق أن بيّنا، بالنسبة لما لاقاه الأنبياء عليهم السلام من مشقّة وعنت وتكذيب، بل قد يصل الأمر إلى تعذيبهم؛ لذا كان أجر

العاملين به عظيم عند الله، خاصة في زماننا هذا، فلا يجدون من يُعينهم عليه، وقد كثرت الآراء، واختلفت، وكثرت الفتن، واستشرت، وأصبح المعروف منكراً، والمنكر معروفًا.

قال ﷺ: «**يا ثعلبة، مُرْ بالمعروف، وانهَ عن المنكر، فإذا رأيت شحًا مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه، فعليك نفسك، ودعْ أمر العوام، فإنه من ورائكم فتن كقطع الليل المظلم، للمتمسك فيها بمثل ما أنتم عليه أجر خمسين منكم**». قيل: بل منهم يا رسول الله. قال ﷺ: «**بل منكم؛ لأنكم تجدون على الخق أعوانًا، وهم لا يجدون**» [رواه أبي داود].

قال ابن مسعود إن هذا ليس زمانها، وإنها اليوم مقبولة، ولكن أوشك أن يأتي زمانها تأمرون بالمعروف، فيفعل بكم كذا وكذا، وتقولون فلا يقبل منكم، فحينئذ عليكم أنفسكم.

فأجر الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في زماننا هذا أجر عمل خمسين من الصحابة، فهل بعد ذلك جزاء. ويكفي الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر شرفًا أنهم يعملون عمل الأنبياء.

وعندما توفي ﷺ ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقالوا: نحن نأخذ بهذه الآية. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ [المائدة: ١٠٥].

فخطبهم أبو بكر الصديق وقال: «أيها الناس، إني سمعت أنكم تقولون كذا وكذا، وإنكم لتضعونها في غير موضعها، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده**».

والمتدبر للآية التي سبقت هذه الآية يجد فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾** ﴾ [المائدة: ١٠٤]، أي بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا لم تجد استجابة فعليك نفسك لا يضرك فسقهم.

وقال تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ﴿١١﴾** ﴾ [الأعلى: ٩ - ١٠].

جاء في تفسيرها فذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع، فإنها تنفع من يخشى ربه، ويعمل بها، وأما الكافر سيعرض عنها؛ لتكون النار هي مأواه، وأما الذي ذكر فأجره على الله سواء نفعت أو لم تنفع.

كما أن الذي يدعو إلى الله يحبه الله ويكون من أوليائه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣]، جاء في تفسير هذه الآية: هذا ولي الله، هذا حبيب الله، هذا خليل الله.

وقال ﷺ عندما سأله أبو بكر الصديق: هل من جهاد غير جهاد المشركين؟ قال ﷺ: «**نعم، إن لله مجاهدين أفضل من الشهداء، أحياء مرزوقين يمشون على الأرض، يُباهي الله بهم ملائكته، وتتزين لهم الجنة**» قال: من هم يا رسول الله؟. قال: «**هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والمحبون في الله والمبغضون في الله**».

وسُئِلَ ﷺ عن أفضل الناس قال: «**آمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر، وأتقاهم لله عز وجل**». وقال ﷺ:

«أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

وقد سمى رسول الله ﷺ جهاد النفس الجهاد الأكبر، ويدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قال ﷺ عند عودتهم من أحد الغزوات: «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

وقال ﷺ: «من تمام الإيمان الحب في الله والبغض في الله»، فلا يتم إيمان عبد حتى يُحب في الله ويُبغض في الله، ويُعطي لله ويمنع لله.

وثمرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجنيها الفرد وتعود على المجتمع كله بالخير والبركات؛ لأن المجتمع كله يصبح من المتقين.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وينصرهم ربهم على أعدائهم بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

[الحج: ٤٠، ٤١].

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

[١] يذكر الناس بأوامر الله ونواهيه فلا ينسوها؛ لأنه وسيلة من وسائل نشر العلم بين الناس.

[٢] يجعل الفاسق يشعر بعظم الذنب، خاصة إذا أنكره كل من حوله.

[٣] يمنع نزول غضب الله على الأمة، وتتنزل عليهم الرحمات.

[٤] يكون سببًا لهداية الإنسان نفسه؛ لأنه جهاد في سبيل الله، ويكون في معيّة الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

[العنكبوت: ٦٩].

[٥] القضاء على البدع وهي في مهدها قبل أن تنتشر بين المسلمين، فيُصبح عرفًا.

[٦] تساعد من يفعل المنكر على مجاهدة نفسه الأمارة بالسوء.

[٧] هي دليل على حب الإنسان لربه وحبه لأخيه.

[٨] تحقق خيرية الأمة التي وعدنا الله بها إذا قمنا بهذا العمل، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

[٩] يعفي الله الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من السؤال يوم القيام، فلا يضرهم فسق الفاسقين كما يُنجيهم من عذاب الدنيا إذا حلّ بقومهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ [يونس: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥)﴾ [الأعراف: ١٦٥].

[١٠] ينصرهم الله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)﴾ [غافر: ٥١].

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليُغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وهو أضعف الإيمان» [صحيح مسلم]. هذا الحديث حدد مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي إما باليد أو باللسان أو بالقلب.

أولاً - باليد:

وهذا لولي الأمر، سواء كان الحاكم، أو وليّ أمر الأسرة، أو أي ولي تولى أمور المسلمين في أي موقع، فالحاكم عليه تتطبيق شرع الله في الحكم وإقامة الحدود أو تاديب الفسقة والمجرمين عن طريق الشرطة والقضاء.

قال تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [النور: ٢].

فهذه ليست قسوة، ولكن رحمة بالمجتمع لكي يعيش آمنًا على ماله وعرضه ونفسه، وكذلك رحمة بالشخص نفسه؛ لأن إقامة الحد عليه يطهره من ذنوبه، وفي نفس الوقت يكون عبرة لغيره، فلا يقدم أحد بعد ذلك على هذا العمل؛ لذا كانت إقامة الحدود على الملأ يشهدها المؤمنون، فالطبيب الماهر يضطر إلى بتر عضو من الجسم إذا كان في ذلك سلامة لباقي الجسد، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وبالنسبة لوليّ أمر الأسرة فعليه أن يُعلّم أهله أمور دينهم، فإن أبوا وأظهروا الفسق فعليه أن يعظهم أولاً، ويخوّفهم بالله، فإن لم يستجيبوا يلجأ إلى التعنيف بالضرب غير المبرح؛ لإيلامهم نفسيًا، وإحراجهم أمام الآخرين أو حرمانهم مما يحبون أو اعتزالهم إذا لزم الأمر، وذلك رحمة بأهله لكي ينقذهم من شياطين الإنس والجن وعذاب الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ

غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: ١٣٢].

وقال ﷺ: «علّموا أولادكم الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع» [مسند أحمد]

ثانيًا - باللسان:

وهذا لعامة الناس، خاصة ما هو معلوم من الدين بالضرورة كالمعاملات المادية والاجتماعية، مثل تطفيف الميزان والغش، وصلة الرحم، وبر الوالدين ومعاملة الجار.

أما العلماء فعليهم أن يبيّنوا للناس أمور دينهم التي لا يعلمها عامة الناس، والأمر باللسان يكون بتعريف الجاهل أن عمله هذا منكرًا، ويدلل له على ذلك بالقرآن والسُّنَّة، فإن علم أنه عالمٌ بأنه منكر، فيكون النهي بالوعظ والتخويف بالله والترغيب في طاعته.

وإذا لزم الأمر إلى زجره بالألفاظ الغليظة فعل، كقوله: يا

فاسق، يا أحمق؛ لأنه يكون كذلك عند فعل ما يغضب الله، قال ﷺ: «**الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**» [مسند أحمد، والترمذي] ولابد أن يراعي حالة من يكلمه، وأن يستخدم لين القول، ويُحسن اختيار الألفاظ.

ثالثاً - التغيير بالقلب:

والتغيير بالقلب يبدأ بأن يكره الإنسان ما يراه من منكرات، فيظهر ذلك على جوارحه، فيتغير وجهه غضبًا لله، حتى يعرف الذي يفعل المنكر أنه منكرًا، ثم الإعراض عنه، وعدم مجالسته أو محادثته، وخاصة إذا علم منه إصرارًا واستكبارًا على أوامر الله، فهذا تغيير للمنكر بالقلب، قال تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾**﴾ [النساء: ١٤٠].

جاء في تفسير هذه الآية أنها في شارب الخمر، وكذلك

كل ما أنكره الشرع، فأي مجلس فيه فسق لابد من مقاطعته، فلا ينبغي حضور الحفلات الماجنة التي فيها اختلاط وعريّ وغناء، وانتهاك لحرمات الله، سواء كانت عرسًا أو غيره مجاملة للأصدقاء والأقارب على حساب الدين، وإلاّ نزلت اللعنة على الجميع، قال ﷺ: «**لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم، فلم ينتهوا، فواكلوهم وشاربوهم وجالسوهم في مجالسهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داوود وعيسى بن مريم**»، وكان ﷺ متكئًا فجلس لعظم الأمر، وقال: «**لا والذي نفسي بيده، حتى تأطروهم على الحق أطرًا**» [أخرجه أحمد والترمذي]

واللعنة تعني الطرد من رحمة الله، وأما ضرب قلوب بعضهم ببعض، أي كره بعضهم بعضًا، وأصبحت قلوبهم قاسية، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾**﴾[المائدة: ١٤].

وجاء في سورة التوبة قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا عن الجهاد بغير عذر، فأمر الله رسوله ﷺ والصحابة بمقاطعتهم خمسون يومًا، حتى نزل أمر الله بالتوبة عليهم، وكانت من أشق الأيام عليهم؛ لأن الهجر يؤدي إلى الإيلام النفسي والإحساس بالغربة، مما يدفع العاصي دفعًا إلى ترك المعاصي والتوبة، قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

فلو أن كل إنسان عاصي قاطعه كل من حوله غضبًا لله، وأنكروا عليه فعله لما استمر على ما هو عليه، قال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

فقد سماهم الله (حزب الله) لأنهم غضبوا لغضبه، وهذا دليل حبهم لله.

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

ولما اعتزل سيدنا إبراهيم قومه، وذهب إلى أرض فلسطين غضبًا لله عوضه الله عن أهله بابنين صالحين، وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب ليأنس بهما، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم: ٤٩].

فهذا هو التغيير بالقلب لابد أن يتبعه عمل إيجابي يؤدي إلى تغيير المنكر، لا أن نعاملهم بعد الإنكار، كأن شيئًا لم يكن، فيستمروا على ما هم عليه فيستشري المنكر ويزداد إلى أن يُصبح معروفًا كما نشاهد الآن.

وكان ذلك أيضاً قبل الإسلام يفعله كل من يحب الله

ويغار على الدين، ففي آخر سورة الأعراف نجد قصة لبعض بني إسرائيل كانوا يسكنون قرية على البحر، قال تعالى: ﴿ وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

هؤلاء القوم فسقوا بترك بعض أوامر الله، فابتلاهم ربنا عز وجل بأن كانت تأتيهم الحيتان يوم السبت الذي هو يوم عبادة لهم، ولا تأتي باقي أيام الأسبوع، فقام بعضهم ببناء حواجز حول الحيتان تحايلاً على أمر الله بألاَ يعملوا، ثم يصطادونها يوم الأحد، فنهتهم علماؤهم، والبعض الآخر، قالوا: ما لكم ولهم إن الله مهلكهم. فانقسموا ثلاث فرق، فرقة تعمل المعاصي، وأخرى تنهاهم، وثالثة تنصح بتركهم وشأنهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

فقاطعتهم الفرقة التي تأمر بالمعروف ببناء سور بينهم، حتى لا يخالطوهم، فلما نزل غضب الله على العاصين بأن سخطهم قردة، نجّى الله الآمرين بالمعروف، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦) ﴾

[الأعراف: ١٦٥، ١٦٦].

كيفية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) ﴾ [النحل: ١٢٥] فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتحلى بعدة صفات مهمة تُعينه على هذا العمل، حتى يكون مقبولاً عند الله، ويقبل الناس منه:

١ - الإخلاص:

فيكون عمله هذا خالصًا لله عز وجل، لا يريد من ورائه ثناء الناس، بل حبًا في الله، وغيرة على دينه.

٢ - الحكمة:

عندما يتكلم لابد أن يكون معه حجة من القرآ والسنة، وهذه هي الحكمة التي أمرنا الله بها، وذلك يستار معرفته بعلوم القرآن والسُّنَّة، أو على قدر علمه يتكلم، فكلما كان الكلام مُؤيداً بالقرآن والسُّنَّة يكون أقوى تأثيراً وأكثر بياناً؛ لأن معظم الناس يحبون الله عز وجل بالفطرة، وخاصة الشباب منهم ويريدون طاعته، ولكن جهلهم بامور الدين هو الذي يجرهم إلى الفسق.

٣ - الموعظة الحسنة:

وهي الرحمة والشفقة والرفق بمن يامرهم وينهاهم، وأن يضع نصب عينيه أن كل بني آدم خطّاء، وهو نفسه يُخطئ فيتكلم مشفقًا عليهم وحبًا فيهم، فهم أخوة في الإسلام.

ولا يكون الكلام من باب التعالي عليهم، والكبر، وأن يبدأ كلامه بالثناء عليهم، وعلى بعض أعمالهم الخيرية، كان يقول مثلاً: أنت تصلي وتحب الله، فلماذا تغضبه؟، أو: إني أراك إنسانًا طيب القلب، تُحب الخير للناس، وتكره

الشر، فلماذا تأتي بهذا المنكر؟

فلين القول وحسن اختيار الألفاظ ترقق القلب وتجعل الكلام مقبولاً لسامعه، والثناء عليه يقربك منه، فيحبك، فإذا أحبك قبل منك النصيحة، قال تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فكل ذلك هي الموعظة الحسنة وذلك لثقل الأمر بالمعروف على النفس البشرية، فالإنسان بطبعه يكره أن تجعله خاطئ، بل يحب الثناء عليه.

وقد رويَ أن المأمون دخل عليه رجل، فوعظه وأغلظ في الوعظ، فقال له المأمون: يا هذا إن الله أرسلَ من هو خير منك لمن هو شر منّي (أي موسى عليه السلام إلى فرعون)، فقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

ويُراعى أن يكون الوعظ في السر لا على الملأ؛ حتى لا

تفضحه، فينفر منك، كما يراعى حالة المأمور، فلابد أن يكون مهيئًا نفسيًا، فلا يكون عنده مشاكل تشغله، وأن يُراعي السنّ والحالة الاجتماعية؛ فالأكبر سنًا لابد أن يختار الألفاظ التي فيها احترام لكبر سنّه، وخاصة الآباء والأمهات، ولنا الأسوة في إبراهيم عليه السلام، وهو يدعو أبيه فيقول برحمة وشفقة: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٤].

٤ - الجدال بالتي هي أحسن:

وهو ما يُسمى بالمناظرة، وتكون لإحقاق الحق وإبطال الباطل، لا لأن ينتصر الإنسان لنفسه، ولكن نصراً لدين الله، ويكون أيضًا بالقرآن والسُّنَّة، فإذا وصل الجدال إلى حد الشقاق، ووجدت إصراراً وجدالاً بالباطل، فلابد من قطع الجدال؛ رحمة وشفقة بمن تجادله، حتى لا تضيف إلى ما هو عليه من معاصي معصية الجدال بالباطل.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ

نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: ٢٠، ٢١].

وقال ﷺ: «أنا زعيم ببيت بالجنة لمن ترك المراء (الجدال) ولو كان محقًا».

٥ - الحلم والأناة:

فلا تتوقع ممن تذكره بالله أنه سوف يستجيب بمجرد أن تأمره أو تنهاه حتى لو اتبعت كل ما سبق؛ لذا لابد أن تحلم عليه وترد الإساءة بالكلمة الطيبة والدعاء له بالهداية.

٦ - الصبر وعدم اليأس والقنوط:

فلا تترك هذا العمل لمجرد أن قابلت من لا يستجيب لك أو رد بقولٍ ثقيل، فكلما كان العمل شاق زاد الأجر والثواب طالما هو لوجه الله تبتغي الأجر من الله، وأن يكون الرسل أسوة له، ويتذكر ما لاقوه من متاعب وعنت وتكذيب من قومهم، ولولا صبرهم ما كانت وصلتنا الرسالة، وما كنّا مسلمين، فإذا صبر نصره الله، وهدى كثيراً من الناس به، فيفرح فرحًا شديداً، ويجد حلاوة في هذا العمل.

قال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس»، وفي رواية: «خير لك من حمر النعم» [رواه البخاري (١٠٧٧)].

قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

فهذا العمل يوجب الصبر فهو ليس بالأمر الهين، كذلك العزم على عدم تركه مهما لاقى من مصاعب؛ لأنه واجب على كل محب لله غيور على الدين، وألا يستمع لقول المثبطين عن هذا العمل، فتجد من يقول لك: (إنك تنفخ في قربة مقطوعة) أو من يقول لك: (إنك لن تُصلح الكون)، وآخر يقول: (كن في حالك، ودع أمر الناس لله فهو الهادي).

فإن أمثال هؤلاء موجودون في كل زمان ومكان، فتجد ذلك في قصة القرية في سورة الأعراف التي سبق أن ذكرناها. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ

مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤]، معذرة إلى ربكم: أي حتى لا يحاسبنا الله على عدم أمرهم بالمعروف، وكذلك لعلهم يخشون ربهم، وينتهوا عن الفسق.

[٧] ألاَّ تترك هذا العمل خوفًا من فوات حظ من الدنيا كجاه أو منصب أو مال، فكل ذلك مكتوب بقدر الله، قال ﷺ: «**لا ينبغي لامرئ شهد مقامًا فيه حق إلا تكلم، فإنه لن يقدم أجله، ولن يحرمه رزقًا هو له**».

[٨] ألاَّ يحتج بأنه هو نفسه مقيم على المعاصي، فكيف يأمر وينهى:

ونقول: إن كل بني آدم خطاء، فلو أخذنا بهذا القول، ما أمر أحد ولا نهى، ولكن ليس معنى ذلك أن ينهى عن معصية وهو مقيم عليها.

كل هذا من أدب الداعي، أما المدعو فعليه أن يتقبل النصيحة بصدر رحب، وأن يشكره على هذه الهدية.

قال ﷺ: «**تهادوا النصائح كما تتهادوا الأطباق**»، وقال

ﷺ : «من جاءه موعظة من ربه فهي نعمة ساقها الله إليه»، وقال ﷺ : «السعيد من يوعظ بغيره».

ومن المعروف أن من سوء الأدب أنه إذا دعاك أحد إلى وليمة أن ترفض دعوته، فما بالك بمن يدعوك إلى ما هو خير من ذلك بكثير، يدعوك إلى جنة عرضها السموات والأرض، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولو أن إنسانًا دعاك للتعرف على أحد الحكام؛ لتكون من المقربين إليه لهرولت إلى هذه الدعوة شاكرًا من دعاك، فما بالك بمن دعاك للتعرف على حاكم هذا الكون العظيم ومدبّره وخالقك ورازقك، والذي إذا دعوته أجابك وهو أرحم بك من أمك وأبيك، دعاك لتكون في قربه وكنفه ومعيته وذلك بإحسان العمل والتقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨]

والعصاة أنواع:

[١] من يعمل المعصية بجهل بأوامر الله وتقليدًا للآباء

والمجتمع الذي يعيش فيه، ولكنه إنسان طيب محب للخير، فهذا سليم الفطرة وغالبًا ما يقبل النصيحة، وأغلبهم من الشباب.

[٢] من يعمل المعصية وهو يعلم أنها معصية، ويستكبر على أوامر الله، فهذا إنسان طُبع على قلبه من كثرة المعاصي، فأصبح يرى الحق باطلاً، والباطل حقًا، ويُجادل بالباطل، وأغلبهم من كبار السن، فهذا أمره إلى الله، وهؤلاء قلة.

[٣] أما الصنف الثالث، فهو الذي يمشي في ركب الناس إن أحسنوا أحسن، وإن أساءوا أساء، ومعظمهم من العوام غير المتعلمين، فهو يعمل المعصية وإذا علم أنها معصية، فلا يهتم وهو ما يُقال عنه إنه إمّعة، وهذا أيضًا ممكن أن يتقبل النصيحة إذا استخدمت أسلوب الترغيب والترهيب معه.